أقتل ولا تدع أحداً يرى نصري الصايغ

الأحد 4 أبريل 2010 12:04 م

4/4/2010

نصري الصايغ :

نصح وزير الخارجية الأمريكي الأسبق (هنري كيسنجر) ـ "الحائز جائزة (نوبل) للسلام" ـ صديقه رئيس وزراء الكيان الصهيوني (إسحق رابين) ـ "الحائز أيضاً جائزة

(نوبل) للسلام" ـ بتكسير الكاميرا، ومنعها من تصوير المشاهد ونقلها إلى العالم إبان حملة تكسير عظام أطفال الحجارة في الانتفاضة الفلسطينية الأولى

المعادلة هي: أقتل، ولا تدع أحداً يرى كيف تقتل... عندها يتحول القتل إلى فعلٍ مجهول والقتيل إلى مجرد رقم... وتتناقل وكالات الأنباء بعد ذلك، أخباراً إنشائية، لا إحساس فيها، لا لون فيها ولا وجع فيها، ولا دماء تُلطخ أيدي القتلة.

الكاميرا حاضرة في زوايا الأرض، مثلها مثل أجهزة التنصت، مثل أجهزة الكشف عن بعد، ولكنها غائبة عن المذبحة اليومية، التي تحصل في بلدان عربية وبلدان آسيوية... الكاميرات الدولية مشغولة بـ (أوشفيتز) المحرقة، تنقل على مدار الساعة وببث مباشر، الحضور الدولي إستنكاراً لمذبحة وإبادة ارتكبتها النازية الأوروبية، بحق اليهود... وآخرين مكتومي الحضور في وسائل الإعلام.

تحضر الكاميرا، ومعها وسائل البث المباشر، لنقل وقائع الحرب الفرنسية على «النقاب»، وكأن هذا النقاب، القادم من مجاهل الجهل الديني، يُهدد الهوية الفرنسية بالاجتياح والاحتلال... الكاميرا حاضرة وكذلك أدوات البث، لنقل وقائع النقاش حول البيئة في (كوبنهاغن)، وفي قمة (دافوس) المذهبة، وفي مؤتمر لندن «اليمني»... ولكنها غائبة عن الأزمة الاقتصادية العالمية وكوارثها الطاغية على فقراء المدن، في كل بقعة من بقاع العالم. ولولا بعض أقلام، لما عرفنا أن مدينة (ديترويت) الأمريكية، تاج الحواضر الصناعية، بانية مجد السيارات الأمريكية، تحوّلت إلى مدينة أشباح، ومن بقي فيها، يعيش على الكفاف! فكيف حال ضواحي المدن في العالم الثالث؟؟؟

الكاميرا حاضرة حيثما يفترض أسياد العالم والمال أن تكون موجودة، وممنوعة من الحضور في مناطق العار الدولي، إلا في المناسبات، والطريقة مجتزأة، حيث لا مفر من إثبات الوجود.

الكاميرا غائبة كلياً عن "صعدة" في شمال اليمن... الإعلام يصور جنوداً أنيقين، وطائرات من دون طيار، وضباطاً بلباسٍ فاخرٍ، ومسؤولين على مقاعد مذهبة... الكاميرا لم تنقل ما تتناقله وسائل إعلام بدائية عن مجازرٍ يرتكبها القصف بحق أطفال ونساء وشيوخ ورجال، تقطعت أوصالهم، بُترت أياديهم، لم يجدوا من يدفنهم، ومن بقي منهم على قيد، ما بين الحياة والموت، يتعثر بدموعه وآلامه، بحثاً عن مكان يلجأ إليه، قبل أن تدهمه غارة ثانية.

إنها غائبة عن مناطق القصف الجوي في أفغانستان، حيث طيران الإبادة يُحلق عالياً ـ ضارباً الرقم القياسي في قتل الأبرياء، بحجة مطاردة "الإرهابيين"...

إنها غائبة عن مجاهل باكستان المتروكة في العراء، لقصف منهجي متتابع، لا حدود زمنية له... إنها غائبة كلياً عن الفضيحة وحاضرةحيث يكون (أوباما) "المعسول"، لثبارك نواياه، وتُبرز "طيبته"، وتُبرر عجزه...

الكاميرا غائبة عن الأنفاق في غزة، ومن يُدفن حياً فيها، ومتغيبة عمداً، عن شعب، تعداده مليون ونصف مليون، يعيش في ما لا يوصف من فقر وحاجة ومذلة وركام في غزة... الكاميرا غائبة عن فظائع الجدار الفاصل بين فلسطين وفلسطين، وبين أحياء في بغداد، وبين العراق وسوريا.

الكاميرا غائبة، بقرار يومي، يمنع وسائل الإعلام المقبوض عليها، وهي بنسبة 95%من الإعلام العالمي، من نقل، مجرد نقل سطحي، لأي مشهد درامي، يُسيء إلى صورة الأميركي، التي شاء العالم أن تكون اليوم، على صورة (باراك أوباما)... وصورته، لا يجوز تلطيخها بالدم. علماً بأن الوضع الدولي، وسفك الدماء، ازداد كثيراً، عما كان عليه، في زمن سلفه (جورج دبليو بوش).

قد تكسب الكاميرا العمياء معركتها، إذا كان من يُراقبها أعمى مثلها. ولدينا في العالم العربي، أعداد مليونية، قررت أن تُسبل عيونها، وأن تحجب أنظارها، وأن تُمتع أبصارها، بما لذ وطاب من كرنفال النفاق السياسي العالمي... شعوب تحب قاتلها...

قد تكسب الكاميرا العربية الرسمية المعركة، فهي مشغولة دائماً، بتنظيف السلطة، وتبييض صفحتها، وتأهيل الورثة فيها، والتعتيم على سراديب الحل والسياسة والجنس والرخص والنفاهة. غير أن عيوناً أخرى، لم تُلوثها عوارض الزيف، ولا تزال قادرة، على تخيل ما يحدث، وإعادة تصويره في وعيها، ومتابعة الأحداث، وفق ما هو متجاهل من وسائل الإعلام العالمية، ووفق ما هو معلوم باليقظة والمعرفة والوعي.

لقـد أسـقطت وسائـل الإعلام الغربيـة دولاً وشـعوباً من دون طلقـة وهـذا ما تُمارسه في إيران.. فتحت دول وشـعوب أبوابها وسـياداتها وثقافاتها، لغزو ناعم،قادته وسائل إعلام بالغة النعومة، ودقيقة التصويب لقد اسـتطاعت أن تُغيّر أراضيَ ودولاً وثقافات ومعتقدات وأدياناً، ولكنها، لم تستطع أن تجعل الاحتلال جميلاً! ولم تعرف كيف تُحول طعم القتل ليُصبح لذيذاً!

لـذا، فحيث يكون الاحتلال، لست بحاجـة إلى كـاميرا، بـل إلى سـلاح. وحيث يكون قتـل، لست بحاجـة إلى دموع، بل إلى رجال. الأمران متوافران، برغم الصعوبات.

لذا: زمن الكاميرا إلى حين.. وزمن الرجال ، إلى كل حين. فهل لا تزال المعركة في أولها؟

على الأرجح، أنها كذلك!

السفير اللبنانية